موقف المفسرين من القلب البلاغي في القرآن الكريم

The Opinion of Interpreters on the Rhetorical Conversion in the Holy Quran

أ.م.د. عبد المجيد بن ماطر شنيف[1]
Dr. Abdulmajeed Mater Shanef

https://doi.org/10.54582/TSJ.2.2.70

(1) أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك
عنوان المراسلة : abuaasem1980@gmail.com

الملخص:

يتناول البحث دراسة لموقف المفسرين من القلب البلاغي في القرآن الكريم.

هدفت الدراسة إلى بيان المراد بالقلب، لدى علماء البلاغة في اللسان العربي، وبيانه أيضاً عند علماء التفسير والمصنفين في علوم القرآن.

كما هدفت الدراسة إلى تطبيق القلب البلاغي، من خلال بعض الأمثلة القرآنية، ومن ثّم دراسة كل آية ورد فيها القلب البلاغي، وبيان الراجح في ذلك، وقد جمعت الدراسة تعريف القلب البلاغي، لغة واصطلاحاً، وموقف المفسرين من القلب البلاغي، وأمثلة تطبيقية على القلب البلاغي من كلام المفسرين، وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج، أهمها:

أ. أن القلب أسلوب استعملته العرب في أشعارها وأقاويلها، أثبته بعض المفسرين و رفض القول به أكثرهم.

ب. أن القلب من الضروريات التي يسلكها الشعراء لمراعاة القافية والوزن، والقرآن منزه عنه.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم – القلب البلاغي – المفسرين– الضرورة الشعرية.

Abstract

The study is aimed to examine the opinion of interpreters on the conversion of linguistic structure in the Holy Quran. The study also seeks to clarify what is meant by conversion of the linguistic structure according to the scholars of rhetoric in the Arabic language, and to explain it according to the scholars of interpretation and authors in the sciences of the Holy Qur'an. It also makes an application on the conversion of linguistic structure through some Qur'anic examples and studying every verse in which the rhetorical transforming was mentioned, and explaining the most correct opinion concerning that. The definitions of the linguistic conversion are mentioned linguistically and terminologically. The study reaches a number of results: first, the linguistic conversion is a style used by the Arabs in their poems and sayings. Some interpreters have confirmed it, but most of them have rejected it. Second, the linguistic conversion is one of the necessities that poets follow in order to take into account rhyme and meter.

Keywords: the Holy Qur'an, Rhetorical conversion, Interpreters, Poetic necessity.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين:)**أنزلَ علَى عبْدهِ الكتابَ ولمْ يجعلْ لهُ عِوجاً**) (الكهف1 (, والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين، نبينا محمد، وآله وصحبه مصابيح الدجى، وأئمة الورى.

وبعد: فإن من مواضيع علوم القرآن الكريم ما هو بحاجة إلى جمع أفراده، وضم أمثلته في مصنف واحد، على غرار ما صنع أهل الحديث في الكتابة في أنواع علوم الحديث، فما من نوع إلا وقد كتب فيه مصنفٌ، على وجه الاستقلال.

فما أحوجنا لأن ينبري طلبة العلم الجادون إلى تحقيق هذا المطلب العظيم.

وإنَّ من أنواع علوم القرآن الكريم: القلب البلاغي، وموقف المفسرين منه، وهو ما يعبر عنه بـ (المقلوب في القرآن الكريم).

وقد اهتم بهذا النوع العلماء في مصنفاتهم، وذكروه في دواوينهم، غير أنه مفرق هنا وهناك،لم يجمعه مصنف واحد، ولم ينظمه كتاب مفرد، فهو مذكور في كتب التفسير، ومنقول في أقاويل كبارهم، والمتقدمين منهم، ومدون في كتب علوم القرآن، فأحببت جمع هذا النوع، والكتابة فيه، وضم أفراده في بحث مستقل، فكان هذا البحث، وقد أسميته: "**موقف المفسرين من القلب البلاغي في القرآن الكريم**».

أهمية الدراسة:

1. تكمن أهمية الدراسة، كون القلب البلاغي خلاف الأصل الذي اتفق عليه المفسرون، وهو حمل الآية على عدم القلب، لأنه هو الموافق لظاهر النص القرآني، ولا يعدل عن الظاهر، إلا بدليل يرجع إليه؛ لأنه الأصل في الكلام.

2. كما تتضح أهمية الموضوع في أن القلب من الضروريات التي يسلكها الشعراء لمراعاة القافية والوزن، والقرآن منزه عن ذلك، ووجوده ضرورة لبيان لتأصيل القاعدة التفسيرية المبيّنة لماهية المقلوب، ووجوده من عدمه، في تفسير كتاب الله تعالى.

3. وأيضاً ورود وصف بعض الجمل القرآنية بالقلب والمقلوب، عند بعض المفسرين، ثم لا نجد مؤلفاً يجمع شتاتها، ويؤلف بين متفرقها، فكانت الحاجة داعية، والضرورة ملحة للتدوين في هذا النوع.

أهداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إلى ما يأتي :

1. التعريف بالقلب البلاغي، وهل هو من أساليب العرب في خطابها.
2. إيضاح موقف المفسرين من القلب البلاغي في القرآن الكريم.
3. جمع بعض مما قيل فيه من الآيات القرآنية أنه مقلوب.

منهجية الدراسة :

سأتبع في دراستي المنهج الاستقرائي، في الوقوف على بعض المفردات القرآنية، التي حكم عليها المفسرون

بالقلب، وأبيّن أقوالهم وموقفهم منه، وبيان الراجح، والأقرب إلى معنى الآية، وما هو الأولى بتفسيرها.

فرضيات البحث:

1. ما هو تعريف القلب، لغة واصطلاحاً؟
2. ما هو موقف المفسرين من القلب البلاغي في القرآن الكريم؟

الدراسات السابقة:

قام الباحثُ بالاطلاع على العديدِ من الدّراسات السابقة التي لها علاقة بموضوع الدراسة، من أجل إعطاء خلفيّة وافية لموضوع هذه الدراسة، وذلك على النحو الآتي :

1. القلب البلاغي بين النظرية والتطبيق، د. مصطفى السيد جبر، مجلة جامعة الأزهر، 1999/4/1، دار المصري للطباعة، الهرم.
2. القلب وأثره في نقض العلل القياسية، دراسة في علمي الأصول والجدل، د. رامي محمد ناصر العياصرة، مجلة كلية أصول الدين بأسيوط، العدد 33، 2015م.
3. القلب مرفوعاً في الجملةِ الفعليةِ في القرآنِ الكريم، دراسة نحوية دلالية، إعداد الدكتورة / زينب هاشم جمعة أبو زيد، أستاذ مساعد بكلية العلوم والآداب، جامعة الملك عبد العزيز – المملكة العربية السعودية، مجلة كلية الآداب – جامعة المنصورة، العدد الثالث و الخمسون – أغسطس 2013م.
4. دور القلب المكاني في التطور الصرفي للكلمة في القرآن الكريم، الباحث /شعبان عبد المنصف محمد سالم، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد، 33.

وكل هذه الأبحاث لا تتفق مع بحثي إلا في العنوان الرئيس، وإلا فالأول: يتناول القلب البلاغي عند أهل البيان والبلاغة، والثاني: يتناول القلب عند أهل الأصول والجدل، والثالث: يتناول القلب بطريقة نحوية دلالية، والرابع: يتناول القلب من ناحية صرفية.

أما بحثي هذا، فيتحدث عن القلب البلاغي، وموقف المفسرين لكتاب الله تعالى من هذا الموضوع.

وقد رأيت تقسيم هذا البحث، كالتالي:

المقدمة:

المبحث الأول: تعريف القلب البلاغي لغة واصطلاحاً.

المطلب الأول: تعريف القلب لغة:

المطلب الثاني: تعريف القلب البلاغي اصطلاحاً.

المبحث الثاني: موقف المفسرين من القلب البلاغي.

المبحث الثالث: أمثلة تطبيقية على القلب البلاغي من كلام المفسرين.

الخاتمة والتوصيات.

المبحث الأول:
تعريف القلب البلاغي لغة واصطلاحاً
المطلب الأول:
تعريف القلب لغة:

وقال ابن منظور:»القلب: تحويل الشيء عن وجهه. قلبه يقلبه قلبًا...، وقد انقلب، وقلب الشيء، وقلبه:حوله ظهرا لبطن...، وكلام مقلوب«[1].

وقيل:»قلبته قلبًا من باب (ضرب) حولته عن وجهه، وكلام مقلوب مصروف عن وجهه، وقلبت الرداء حولته، وجعلت أعلاه أسفله، وقلبت الشيء للابتياع قلبًا أيضًا تصفحته، فرأيت داخله وباطنه، وقلبت الأمر ظهرًا لبطن اختبرته، وقلبت الأرض للزراعة، وقلبت بـ(التشديد) في الكل مبالغة وتكثير، وفي التنزيل: {وقلَّبوا لك الأمور} [التوبة: 48] [2].

وقيل: قلب الشي: أي حوله عند وجهه، وحجر مقلوب، وكلام مقلوب، وقلب رداءه. ..، ومن المجاز قلب المعلم الصبيان: صرفهم إلى بيوتهم[3].

قال المرتضى الزبيدي: ''القلب لغة: من قلب الشي، أي صرفه عن وجهه، قال الزبيدي: ''(قلبه، يقلبه)، قلبًا، من باب ضرب: (حوله عن وجهه،. ..، وقلبه عن وجهه: صرفه.. ..، وقلب الثوب والحديث وكل شيء: حوله''[4].

وقال بعضهم: سمِّي القلب قلبًا لتقلبه، وأنشد: ما سمي القلب إلا من تقلبه...، والرأي يصرف بالإنسان أطوارًا''[5].

فالمادة تدور حول تحويل الشيء، وصرفه عن وجهه: حسياً كان أو معنوياً، وعليه فإن علماء اللغة قالوا بالقلب في كلام العرب، وفي القرآن الكريم، ولكن أكثر علماء البيان والمفسرين، لم يسلِّموا بالقلب في القرآن، ودافعوا عنه كثيرًا.

(1) لسان العرب، 1/685.
(2) المصباح المنير 512/2
(3) أساس البلاغة، (94/2
(4) تاج العروس من جواهر القاموس68/4، 69
(5) تاج العروس 70/4.

المطلب الثاني:
تعريف القلب البلاغي اصطلاحاً

وقد عرف البلاغيون القلب بأنه: جعل أحد أجزاء الكلام مكان الآخر، والآخر مكانه[6]، على وجه يثبت حكم كل منهما للآخر[7]"، أي يجعل متصفاً كل منهما بصفة الآخر، وحكمه لا مجرد الوضع موضعه، مع بقاء كل منهما على حكمه الأصلي، ويخرج من هذا التعريف أمور:

1. التقديم والتأخير، فإن كلا من المقدم والمؤخر لا يزال باقياً على حاله، وإعرابه، فقوله تعالى: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) الفاتحة: 5، وقوله سبحانه: (لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ)الروم: 4، المقدم في الأول المفعول به، (إياك)، وفي الثاني: الخبر: (لله)، وهما لا يزالان على حكمهما، وإعرابهما، وقد سئل السبكي بقوله: «فليس منهم في الدار زيد، وضرب عمراً زيدٌ؛ إذ تقديم الخبر في الأول، والمفعول في الثاني لم يخرجهما عن كون الأول خبراً، والثاني مفعولاً"[8].

وهذا بخلاف قولهم: قولهم قطعَ الثوبُ المسمارَ، فإن الثوب صار بالقلب فاعلاً، وأخذ إعرابه.

2. البناء لما لم يسم فاعله.. فإن قولهم في التعريف: «مكان الآخر»، يخرج به نحو ضُرِبَ عمرو[9]، حيث وضع المفعول به مكان الفاعل بعد حذفه، وليس ثَمة تبديل بينهما في المكان.

العكس، وهو: أن يقدم في الكلام جزء، ثم يؤخر، كقول بعضهم: عادات السادات سادات العادات، ومنه قوله تعالى: (هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ)البقرة 187 [10].

(6) المطول على التلخيص صـ 137، 137.
(7) انظر: شرح الإيضاح في علوم البلاغة لمحمد الخفاجي 2/97.
(8) شرح تلخيص المفتاح، صـ 4/112..
(9) القلب البلاغي بين النظرية والتطبيق، صـ 487.
(10) انظر الإيضاح 4/26.، 27، و البرهان في علوم القرآن 3/293.

المبحث الثاني:
موقف المفسرين من القلب البلاغي

اختلف أهل المعرفة بتأويل كلام الله تعالى في هذه المسألة، كما اختلف أهل العربية، على قولين اثنين:

القول الأول: وجود القلب في اللغة.

وإلى هذا ذهب بعض المفسرين، ولتتبع هذا القول باعتبار قائليه:

أثبته الفراء، حيث قال: «وهو ظاهر كلام العرب أن يقولوا: فلان يخافك كخوف الأسد، والمعنى: كخوفه الأسد؛ لأن الأسد هو المعروف بأنه المخوف»[11].

وأثبته أبو عبيدة؛ حيث قال: «والعرب تريد الشي، فتحوله إلى شيء من سببه، يقولون: أعرض الحوض على الناقة، وإنما تعرض الناقة على الحوض، ويقولون: هذا القميص لا يقطعني، ويقولون: أدخلت القلنسوة في رأسي، وإنما أدخلت رأسك في القلنسوة، وكذلك الخفّ»[12].

وبه قال الطبري، حيث أورد إيراداً ربما يرد على مذهب اختاره في فهم آية من كتاب الله تعالى، فقال: «فإن أشكل ما قلنا على ذي غفلة، فقال: وكيف يجوز أن يكون ذلك كما قلت، و «مِنْ»، إنما هي في كتاب الله في ''الحق'' و''اللام'' في قوله: ''لما اختلفوا فيه»، وأنت تحول «اللام» في «الحق»، و «من» في» الاختلاف»، في التأويل الذي تتأوله، فتجعله مقلوبًا؟

قيل: ذلك في كلام العرب موجودٌ مستفيضٌ، والله تبارك وتعالى إنما خاطبَهم بمنطقهم[13].

وممن أثبته الواحدي، حيث قال: «وقول الفراء صحيح- وإن أنكره ابن قتيبة- موافق لمذاهب العرب في فنون مخاطباتها، فإنهم يفعلون الشيء للضرورة، ثم يصير وجهًا ومذهبًا لهم في الكلام، حتى يجيزوه، وإن لم تدع إليه ضرورة»[14].

وممن أثبته العلامة الشنقيطي؛ حيث قال:» وهذا أسلوب عربي معروف إذا دل المقام عليه، وهو موجود في كلام العرب، وفي القرآن العظيم»[15].

ولا يشكل على هذا قوله: «والذي يظهر لنا أنه أسلوب عربي، نطقت به العرب في لغتها، إلا أنه يحفظ ما سمع منه، ولا يقاس عليه»[16].

فهو يثبت في هذا النص كونه من أساليب العرب في حديثها، ولم يتعرض لوروده في القرآن الكريم، وهذا

(11) معاني القرآن للفراء 99/1.
(12) مجاز القرآن، صـ63- 64.
(13) جامع البيان 286/4، 287.
(14) التَّفْسِيرُ البَسِيْط 3/493.
(15) العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ، 69/4.
(16) أضواء البيان 7/ 228.

ما أثبته في النص السابق.

وجوزه الزمخشري، حيث قال: «ويجوز أن يراد: عرض النار عليهم، من قولهم: عرضت الناقة على الحوض، يريدون: عرض الحوض عليها فقلبوا»[17].

وذهب البيضاوي أنه فصيح عند اتضاح المراد، والأمن من الالتباس»[18].

القول الثاني: وهو ان القلب إنما يقع في الشعر ضرورة، وذهب إليه النحاس، كما نقل عنه القرطبي، وأبو حيان، والسمين الحلبي[19].

قال القرطبي نقلاً عن النحاس: ''وهو مذهب أبي عبيدة. النحاس: وهذا القول لا ينبغي أن يجاب به في كتاب الله، لأن القلب إنما يقع في الشعر اضطراراً»[20].

وقال أبو حيان: «وينبغي أن ينزه القرآن عنه، لأن الصحيح أن القلب لا يكون إلا في الشعر، أو إن جاء في الكلام، فهو من القلة، بحيث لا يقاس عليه"[21].

القول الراجح:

والذي يظهر لي من خلال أقوال العلماء أن القلب أسلوب استعملته العرب في أشعارها وأقاويلها، أثبته بعض المفسرين، و الذي سار عليه أكثر المفسرين أنه لا ينبغي استعماله في كلام الله تعالى، لأنه خلاف الأصل المعمول به، وهو جريان كلام الله عز وجل على ترتيبه بدون قلب.

(17) الكشاف 305/4.
(18) انظر: حاشية زادة على تفسير البيضاوي 268/4.
(19) الجامع لأحكام القرآن 11/289، والبحر المحيط 2/106، الدر المصون 231/2.
(20) الجامع لأحكام القرآن 289/11.
(21) البحر المحيط في التفسير 2/106.

المبحث الثالث:
أمثلة تطبيقية على القلب البلاغي من كلام المفسرين

المسألة الأولى:

في قال تعالى: **(ومثَلُ الذِينَ كَفرُوا كَمثَلَ الذِي ينْعِقُ بمَا لا يسْمعُ إلا دُعاءً ونِداءً صُمٌ بُكمٌ عُميٌ فهُمْ لا يعقِلُونَ) البقرة: 171**

موضع القلب عند من رآه قال تعالى :(ومثَلُ الذينَ كفَرُوا كَمثَلِ الذي يَنعقُ بما لا يسْمَعُ إلا دُعَاءً ونداءً. ..).

قال أبو عبيدة في تفسيرها: ''وإنما الذي ينعق الراعي، ووقع المعنى على المنعوق به، وهي الغنم، تقول: كالغنم التي لا تسمع التي ينعق بها راعيها؛ والعرب تريد الشيء، فتحوله إلى شيء من سببه، يقولون :اعرض الحوض على الناقة، وإنما تعرض الناقة على الحوض، ويقولون: هذا القميص لا يقطعني، ويقولون: أدخلت القلنسوة في رأسي، وإنما أدخلت رأسك في القلنسوة، وكذلك الخُف، وهذا الجنس، وفي القرآن) :(مَا إنَّ مفَاتحهُ لتنَوءُ بِالعُصبةِ) (القصص:76 ، ما إن العصبة لتنوء بالمفاتح: أي تثقلها)''.[22]

والذي قاله أبو عبيدة في تفسير الآية، يسمى القلب.

وقد فسر العلماء الآية تفسيرين؛ **القول الأول:**

ومثل الذين كفروا في دعائهم الجمادات أو الأصنام التي لا تسمع كمثل الصائح في جوف الليل، فيجيبه الصدى، فهو يصيح بما لا يسمع، ويجيبه ما لا حقيقة فيه، ولا منتفع. [23]

القول الثاني:

أن معنى الآية: ومثل وعظ الكافر وواعظه، كمثل الناعق بغنمه ونعيقه، فإنه يسمع نعقه ولا يعقله، وروى الطبري عن ابن عباس في قوله تعالى :(ومثَلُ الذينَ كفَرُوا كَمثَلِ الذي يَنعقُ بما لا يسْمَعُ إلا دُعَاءً ونداءً...)، قال: ''كمثل البعير والحمار والشاة، إن قلت لبعضها كلْ لا يعلم ما يقول غير أنه يسمع صوتك، وكذلك الكافر إن أمرته بخير أو نهيته عن شر أو وعظته، لم يعقل ما تقول، غير أنه يسمع صوتك)[24]''.

وأما على تفسير أبي عبيدة، فيكون معنى الآية هو: ومثل الذين كفروا في عدم فهمهم عن الله وعن رسوله، كمثل المنعوق به من البهائم، التي لا تفقه من الأمر والنهي غير الصوت، فيراد بالذي ينعق، الذي ينعَق به، وهو الغنم، فيكون هذا من المقلوب عندهم. قالوا: كما تقول: دخل الخاتم في يدي، والخف في رجلي.

(22) مجاز القرآ ن1/ 63، 64
(23) الجامع لأحكام القرآن 2/ 214
(24) تفسير الطبري 3/109،113.

وكقولهم: عرض الحوض على الناقة [25]).

وهو تكلف لا داعي له في كتاب الله تعالى؛ لأن القلب يلجأ إليه عند الضرورة الشعرية في كلام العرب، وهو مختلف في قبوله في العربية عمومًا، فكيف يحكم به على كتاب الله عز وجل؟

لذا وجدنا كثيراً من المفسرين واللغويين، فسروا الآية الكريمة من غير تقدير القلب فيها، وإمامهم وعمدتهم في ذلك تفسير ابن عباس – رضي الله عنه – لها؛ فأبو العالية ومجاهد وعكرمة وعطاء والحسن وقتادة وعطاء الخرساني والربيع بن أنس، كلهم قالوا بقول ابن عباس هذا الذي رجحه الطبري، وكذلك ابن قتيبة والفراء والزجاج وسيبويه وابن كثير وابن عطية والبغوي والبيضاوي والزمخشري والشوكاني)[26].

قال ابن قتيبة بعد أن استعرض رأي أبي عبيدة في مسألة القلب في آية البقرة:" وهذا ما لا يجوز لأحد أن يحكم على كتاب الله عز وجل لو لم يجد له مذهباً؛ لأن الشعراء تقلب اللفظ، وتزيل الكلام على الغلط، أو على طريق الضرورة للقافية، أو لاستقامة وزن البيت" . .. وأورد شواهد لذلك من الشعر، ثم قال مفسراً الآية التفسير المختار: «والله تعالى لا يغلط ولا يضطر، وإنما أراد: ومثل الذين كفروا ومثلنا في وعظهم كمثل الناعق بما لا يسمع، فاقتصر على قوله: (ومثل الذين كفروا)، وحذف (ومثلنا)؛ لأن الكلام يدل عليه، ومثل هذا كثير في الاختصار[27]"(، وذلك كقوله تعالى :(واسْئَلِ القرية التي كُنّا فِيها) (يوسف82:)، أي أهلها. وبهذا نجد أن تفسير ابن عباس هو من مرجحات تفسير الآية، من غير حاجة إلى ادعاء القلب فيها، فإن كلامه وتفسيره يرفع الخلاف- إن حصل في آية ما – ما دام ليس هنالك مخالف له من الصحابة، كما أن تفسير الآية من غير تأويل – وهو القلب هنا الذي هو نادر أصلاً في كلام العرب، ولا يكون إلا في الشعر- أولى من ادعاء ذلك فيها.

وبناءً على استبعاد القلب في الآية يكون معناها: مثل أولئك الكفار عند دعاء الداعي لهم إلى الإيمان، كمثل البهائم التي ينعق لها راعيها، وليس لها علم بما يقول راعيها؛ فهم يسمعون مجرد الصوت الذي تقوم عليهم به الحجة، ولكنهم لا يفقهونه فقهاً ينفعهم؛ فلهذا كانوا صماً، لا يسمعون الحق سماع فهم وقبول، عمياً لا ينظرون نظر اعتبار، بكماً فلا ينطقون بما فيه خير لهم.

فذكر بعض هذه الجملة وترك بعضاً، ودل المذكور على المحذوف، وهذه نهاية الإيجاز. وقال قوم: إنما وقع هذا التشبيه براعي الضأن؛ لأنها من أبلد الحيوان، فهي تحمق راعيها، وفي المثل: أحمق من راعي ضأن.

أو يكون المعنى: تشبيه حال المشركين في إقبالهم على الأصنام، بحال الداعي للغنم التي تسمع صوت النداء، ولا تفهم ما يتكلم به الناعق، والمشركون لم يهتدوا بالأدلة التي جاء بها النبي- صلى الله عليه

(25) البحر المحيط .1/ 481.
(26) انظر: تفسير القرآن العظيم 1/202، المحرر الوجيز 1/238. 1/196، 197، 1/100، الكشاف 1/328، فتح القدير 1/210.
(27) تأويل مشكل القرآن، ص 156، وبنحو ذلك فسرها الفراء، انظر: معاني القرآن99/1.

المجلد(6) العدد(1) ديسمبر 2023م
https://doi.org/10.54582/TSJ.2.2.70

وسلم- فكان قوله تعالى: } إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً{ من تكملة أوصاف هذا التشبيه. [28]

المسألة الثانية:

قال تعالى: **(كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)** البقرة: 213.

موضع القلب عند من رآه **(فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ)**، قالوا المعنى: فهدى الله الذين آمنوا للحق مما اختلفوا فيه.

والسبب في هذا: أنا لو حملنا الآية على سياقها لكان المعنى: فهدى الله أهل الإيمان للاختلاف، وقطعاً ليس هذا هو المراد، وإنما المراد: لما اختلف الناس هدى الله المؤمنين للحق.

وهذا اختيار شيخ المفسرين الطبري- رحمه الله- وقد أفصح عنه وعن سر اختياره له بما لا يدع لنا مجالاً للاجتهاد في البحث عن سبب اختياره، وها هو يقول ويذكر القلب:

"قال أبو جعفر: فإن أشكل ما قلنا على ذي غفلة، فقال: وكيف يجوز أن يكون ذلك كما قلت، و «من» إنما هي في كتاب الله في «الحق» و«اللام» في قوله:» لما اختلفوا فيه»، وأنت تحول «اللام» في «الحق»، و «من» في «الاختلاف»، في التأويل الذي تتأوله فتجعله مقلوبا؟ قيل: ذلك في كلام العرب موجود مستفيض، والله تبارك وتعالى إنما خاطبهم بمنطقهم»[29].

وذكر الفراء قولاً وارداً في تفسير الآية[30] غير أن مأخذه يختلف عن مأخذ الإمام الطبري ومنزعه، فالفراء يرى أنك إذا فسرت الاختلاف الحاصل بين أهل الكتاب بالتبديل للتوراة؛ فعليه يكون المعنى: فهدى الله المؤمنين للحق من هذا الاختلاف؛ لأن بعضه حق، وبعضه كفر، فأهل الإيمان آمنوا ببعض ذلك، وهو الحق، إذاً، فالهداية للحق.

و أما الطبري: فيرى أن اختلاف أهل الكتاب في الجمعة والصلاة والصيام ونحوها، وليس في خصوص التبديل والتحريف لكتبهم، فهدى الله المؤمنين لإصابة الحق الذي هو دين إبراهيم عليه السلام.

وبهذا يتضح لنا الفرق بين المأخذين، فلا نحمل الطبري ما نحمله الفراء؛ لأنّ سبب القولين مختلف، وإن

(**28**) انظر: تفسير ابن عطية 1/238، والنكت والعيون. 221/1، وتفسير البحر المحيط1/481، التحرير والتنوير 2/111، 112.

(**29**) جامع البيان 286/4، 287.

(**30**) انظر: معاني القرآن للفراء 131/1، قال الطبري في المحرر الوجيز 287/1، وقال الفراء: في الكلام قلب».

اتحد في النتيجة، وبهذا نعلم أن استدراك ابن عطية على الطبري في هذه النقطة في غير محله[31].

وهذا السبب الذي ذكرته – زيادة على وضوحه في كلام الطبري – نص عليه مكي، ولم يذكر ما ذكره ابن عطية، ولكنه زاد بأن عزا هذا القول إلى أكثر أهل العلم، فقال رحمه الله: «وهذا عند أهل العلم فيه قلب، والمعنى: فهدى الله الذين آمنوا للحق مما اختلفوا فيه، كما قال:

كَانَ الزِّنَا فَرِيضَةَ الرَّجْمِ ...، فالهداية إنما هي للحق، ولم يهدهم للاختلاف.

وظاهر الآية يعطي الهداية للاختلاف؛ لأنه قال: {فَهَدَى الله الذين آمَنُواْ لِمَا اختلفوا فِيهِ مِنَ الحق}. ولكن الكلام فيه قلب أتى على لغة العرب وعادتها في كلامها. وهذا قول الطبري واختياره[32].

فهذا يؤكد ما ذكرته آنفاً من علة القول ومنزعه عند صاحبه الذي قاله، وذهب إليه.

ونستطيع القول بأن الزمخشري والبيضاوي قد ذهبا إلى القول بالقلب، فقالا: «أي: فهدى الله الذين آمنوا للحق الذي اختلف فيه من اختلف»[33].

فهذه هي الجملة التي سطرها الطبري في معنى الآية.

وبهذا القول يحصل جواب لسؤال يرد، وهو لماذا بدأ الله بذكر الاختلاف، وقدمه على ذكر الحق، ابتداء، كذا فعل الرازي[34].

وانتقد هذا القول ابن عطية، فقال: وادعاء القلب على لفظ كتاب الله دون ضرورة تدفع إلى ذلك، عجز وسوء نظر، وذلك أن الكلام يتخرج على وجهه ورصفه»[35].

أي أن هذا القول مخالف للأصل، وهو كون الكلام على نسقه، وطالما أنَّ المعنى تام، فلا حاجة إلى القول به.

وقال أبو حيان عن قول ابن عطية: «وهو حسن، والقلب عند أصحابنا يختص بضرورة الشعر، فلا نخرج كلام الله عليه»[36].

واختار بعض المفسرين أنَّ في الآية محذوفاً، تقديره: معرفة أو إصابة؛ ليكون المعنى: فهدى الله الذين آمنوا لمعرفة ما اختلفوا فيه من الحق.

---

(31) ولم ينبه على صاحب كتاب: استدراكات ابن عطية على الطبري، والغريب أن ابن عطية ذكر أن الطبري عزا هذا القول للفراء، وهذا وهم بيّن، فلم يذكر الطبريُ الفراءَ هنا، وهذا مما فات صاحب الاستدراكات أيضاً، انظر: المحرر الوجيز 287/1، وقارنه بجامع البيان286/4، 287.

(32) الهداية إلى بلوغ النهاية 1/701.

(33) الكشاف 256/1، وأنوار التنزيل 135/1.

(34) مفاتح الغيب 377/6.

(35) المحرر الوجيز 1/287.

(36) البحر المحيط 270/2.

وإلى هذا ذهب الواحدي وابن الجوزي وابن جزي والخازن[37].

وهذا مخالف للأصل المعروف، وهو الأصل عدم التقدير، لكن القول به أهون من القول بالقلب، فالقلب مختلف في وجوده في اللغة العربية وفي القرآن الكريم.

لكن لو قالوا الآية لا تحتاج إلى تقدير؛ لأن ما قدر مفهوم من السياق، فإن الله تعالى أراد إظهار منته على أهل الإيمان بهدايتهم، والهداية لا تكون إلى الاختلاف، بل إلى معرفة الحق وإصابته في الاختلاف.

وهذا المعنى ما دندن حوله المفسرون، لكن من قائل بالقلب، وآخر بالتقدير، والصواب: أن السياق دال على هذا المعنى من غير هذين الأمرين، وهذا ما ذكره ابن عطية، وتكون (من) في قوله تعالى: (من الحق) بيان للمختلف فيه.

قال ابن عطية: «لأن قوله: (فهدى) يقتضي أنهم أصابوا الحق، وتم المعنى في قوله فيه، وتبين بقوله: (من الحق) جنس ما وقع الخلاف فيه»[38].

وهذا هو أرجحها؛ لموافقته للقواعد التي ذكرها المفسرون من أن الأصل في السياق كونه على نسقه، فلا قلب، ولا تقدير، والله أعلم.

المسألة الثالثة:

قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) البقرة: 246.

موضع القلب عند من رآه: (وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا)، قالوا: الآية على القلب، والمعنى: وقد أُخرِجنا من أبنائنا، فأسند الخروج للآباء في الآية، والمراد خروج الأبناء.

ولعل وجه هذا القول: أنَّ خروج الآباء من أبنائهم، يكون بالسبي، فيؤخذ الأبناء عن آبائهم، وهذا إخراج للأبناء لا الآباء، فيثبت القلب في الآية الكريمة.

ولم أرَ من تبنى القلب صريحاً، أو عزاه إلى أحد بعينه، سوى حكاية بعض المفسرين لهذا القول، وبصيغة التمريض المقتضية للتضعيف[39].

لكن نجد من المفسرين من يذكر سبي الأبناء، وهذا كما ذكرنا إخراج للأبناء.

---

(37) التفسير البسيط 114/4، الوجيز للواحدي صـ 161، زاد المسير 178/1، التسهيل لعلوم التنزيل 118/1، لباب التأويل 143/1.

(38) المحرر الوجيز 287/1، وكذا قال ابن جزي الكلبي في التسهيل 118/1، وانظر: الدر المصون 379/2.

(39) البحر المحيط 572/2، والدر المصون 2/ 518، واللباب في علوم الكتاب 266/4.

قال الزجاج: ''ومعنى (وَأَبْنَائِنَا)، أي: سبيت ذرارينا[40].

ولكننا لا نستطيع القول بأن هذا التفسير يريد القلب في الآية الكريمة؛ لاحتمال أنهم أرادوا أن الآباء أبعدوا عن أبنائهم بالأسر والقتل، ثم وقع السبي على الذرية، فيكون المعنى الذي أشارت إليه الآية الكريمة حاصل بلا قلب، وهو إبعاد الرجال عن ديارهم وأبنائهم.

وينتقد القول بالقلب بأمرين اثنين، هما:

- إن القول بالقلب على خلاف الأصل.
- إنهم ذكروا قبل الأبناء خروجهم من ديارهم، ولا يمكن أن يكون قلب في الديار؛ إذ لا يتصور خروج الديار من الناس، فكيف نقول بالقلب في كلمتين متعاطفتين، ولذا قال السمين الحلبي: «وقيل: إنَّ هذا على القلبِ، والأصلُ: وقد أُخْرِجَ أبناؤنا منا، ولا حاجةَ إلى هذا[41].

وظاهر الآية واضح لا يحتاج إلى قلب، ومعناها الذي نص عليه من رأيته من المفسرين: أنهم استولوا على بلادهم، وطردوهم منها، وخلفوهم في أبنائهم، فاستبعدوهم.

فالإخراج حاصل لهم من الديار والأبناء.

قال الطبري:»فإنه يعني: وقد أخرج من غلب عليه من رجالنا ونسائنا من ديارهم وأولادهم، ومن سبي. وهذا الكلام ظاهره العموم وباطنه الخصوص، لأن الذين قالوا لنبيهم: ''ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله''، كانوا في ديارهم وأوطانهم، وإنما كان أخرج من داره وولده من أسر وقهر منهم[42].

وقال السمرقندي:» يعني أخذوا ديارنا، وسبوا أبناءنا»[43].

وقال أبو حيان: «والقائل هذا لم يخرج، لكنه أخرج مثله، فكان ذلك إخراجًا له، ويمكن حمله على الظاهر، لأن كثيرًا منهم استولى على بلادهم، وأسر أبناءهم، فارتحلوا إلى غير بلادهم التي كان منشأهم بها، كما مر في قصتهم»[44].

وهكذا قال المفسرون[45].

وذهب أبو البقاء العكبري إلى أن الآية على نسقها، فيها حذفٌ دل عليه السياق، والتقدير: وقد أخرجنا

---

(40) معاني القرآن 327/1، وانظر: تأويلات أهل السنة 2/ 223.
(41) الدر المصون 2/ 518
(42) جامع البيان 305/5.
(43) بحر العلوم 1/ 162.
(44) البحر المحيط 2/572.
(45) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية 320/1، التفسير البسيط 665/4، الوجيز للواحدي صـ 178، 249/1، وأنوار التنزيل 150/1، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير 665/1، وتفسير 377/2، وتيسير الكريم الرحمن صـ 107، والتحرير والتنوير 487/2.

من ديارنا، وأبعدنا عن أبنائنا[46].

ولا حاجة إلى التقدير، فهو خلاف الأصل —كما هو معلوم – والمعنى قائم بدونه[47].

ويبقى القول الذي ذهب إليه أكثر المفسرين — من أنهم أخرجوا من ديارهم وأبنائهم — هو أصح الأقوال في معنى الآية الكريمة، لوضوحه وعدم مخالفته قواعد أهل الشأن.

المسألة الرابعة:

في قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) الأعراف: 189.

موضع القلب عند من رآه (فَمَرَّتْ بِهِ) قالوا معنى الآية: فمر بها، أي: استمر ودام الحمل، فأسند المرور إلى حوى، وفي حقيقته للحمل، فهو الذي مر بها، وهذا هو القلب"[48].

وكأن هذا يفهم من كلمة أبي عبيدة، حيث قال: «مجازه: استمر بها الحمل، فأتمته"[49]،

فأضاف الاستمرار إلى الحمل لا إلى حواء، ونسبه مكي لأبي حاتم السجستاني[50].

وعزاه الألوسي للنقاد[51].

وذهب الجمهور من المتقدمين والمتأخرين إلى أنَّ على نسقها، ومعناها: استمرت بالحمل، حتى قطعت فترته، وكان خفيفاً، وقامت وقعدت، ولم يثقلها.

"وحقيقة المرور: الاجتياز، ويستعار للتغافل، وعدم الاكتراث للشيء...، فمعنى (فمرت به)لم تتفطن له، ولم تفكر في شأنه، وكل هذا حكاية للواقع، وهو إدماج[52].

وعليه فلا قلب في الآية الكريمة، إذ المعنى بيّن واضح، فأي حاجة للقول بالقلب، قال مجاهد: استمرت بحمله[53].

وقال الرازي:» أي استمرت بالماء والحمل على سبيل الخفة، والمراد أنها كانت تقوم وتقعد وتمشي، من غير

(46) التبيان في إعراب القرآن 1/197، وانظر البحر المحيط 2/572، والدر المصون 2/ 518، واللباب في علوم الكتاب 4/ 266.

(47) التحرير والتنوير 487/2.

(48) انظر تفسير السمعاني 238/2، والمحرر الوجيز 286/2، والجامع لأحكام القرآن 338/7، والبحر المحيط 246/5، والدرالمصون533/5، واللباب في علوم الكتاب417/9.

(49) مجاز القرآن 236/1.

(50) الهداية إلى بلوغ النهاية 4/2670.

(51) روح المعاني 129/5.

(52) التحرير والتنوير 212/9.

(53) تفسير مجاهد صـ 348، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم1632/5.

ثقل[54].

وهكذا قال الحسن[55]، وإبراهيم النخعي[56]، ومقاتل بن سليمان[57].

وبه قال الفراء، وابن قتيبة، والطبري، والزجاج، والسمرقندي، والثعلبي، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، والزمخشري، وابن الجوزي، والرازي، والبيضاوي، والخازن، والسعدي، وغيرهم[58].

وقيل: هو من المرية، أي: شكت[59].

وهذا غير صحيح لأن القراءة بتشديد الراء من المرور، وليس من المرية بتخفيف الراء، وهذا التفسير يأتي على ما ذُكِرَ عن ابن عباس أنه قرأها بالتخفيف: (فمرت به) [60].

المسألة الخامسة:

في قوله تعالى: **(إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة)**{القصص: **76**.

موضع القلب عند من رآه قال تعالى :**(ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة)**.

قال أبو عبيدة: "(ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة)، أي: مفاتح خزائنه، ومجازه: ما إن العصبة لتنوء بمفاتح نعمه، ويقال في الكلام: إنها لتنوء بها عجيزتها، وإنما هي تنوء بعجيزتها كما ينوء البعير بحمله، والعرب قد تفعل مثل هذا، قال الشاعر:

فديت بنفسه نفسي ... ومالي وألا ألوك إلا ما أطيقُ

والمعنى: فديت بنفسي وبمالي نفسه، وقال الشاعر:

(**54**) مفاتيح الغيب 430/15.

(**55**) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره 108/2، وانظر تفسير ابن أبي حاتم1632/5.

(**56**) انظر: تفسير ابن أبي حاتم 5/ 1632.

(**57**) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان 79/2.

(**58**) معاني القرآن للفراء 1/400، وغريب القرآن لابن قتيبة صـ 151، وجامع البيان 10/618، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج 2/395، وبحر العلوم 1/574، والكشف والبيان 4/314، والتفسير البسيط 9/511، وتفسير السمعاني 2/238، ومعالم التنزيل 3/311، والكشاف 2/186، وزاد المسير 2/177، ومفاتيح الغيب 15/430، وأنوار التنزيل3/45، ولباب التأويل 2/280.

(**59**) انظر: جامع البيان 619/10، والكشاف 186/2، والمحرر الوجيز 486/2، والجامع لأحكام القرآن 338/7، وروح المعاني 129/5، وتيسير الكريم الرحمن صـ 311.

(**60**) انظر: الجامع لأحكام القرآن 338/7، والدر المصون533/5، وإرشاد العقل السليم 303/3، والبحر المحيط246/5، ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير 177/2، والسمين الحلبي إلى أبي العالية وأيوب ويحيى بن معمر.

وتركب خيلٌ لا هوادة بينها وتشقى الرماح بالضياطرة الحُمر[61].

وبهذا القول قال الأخفش: «وقوله: {تنوء بالعصبة} إنما العصبة تنوء بها. وفي الشعر: تنوء بها فتثقلها»[62].

وقال ابن عطية: «والوجه أن يقال إن العصبة تنوء بالمفاتح المثقلة لها، وكذلك قال كثير من المتأولين، المراد هذا، لكنه قلب، كما تفعل العرب كثيراً"[63].

القول الثاني: ويرى أنه لا مبرر للقلب في الآية، ومعنى: (لتنوء بالعصبة)، أي: لتنيء المفاتح العصبة الأقوياء، أي: تميلهم وتثقلهم، ومن ثم تكون الهمزة هنا للتعدية، كما قالوا: يذهب بالبؤس، ويُذهب البؤس. وهذا القول نسب لابن عباس وأبي صالح والسدي، وقال به الخليل وسيبويه والفراء والنحاس، ورجحه من المفسرين، وذهب إلى هذا القول الفراء، وأبو حيان[64]، الطبري، والقرطبي والبغوي، والزمخشري، والآلوسي، وابن عاشور والصابوني[65]، وهو ظاهر التنزيل.

وقال الطبري – رحمه الله –: «وهو أولى بالصواب لمعنيين، أحدهما: أنه موافق لظاهر التنزيل، والثاني: أن الآثار عند أهل التأويل جاءت بذلك»[66].

قال الفراء: "ليس هذا بمقلوب، إنما معناه: ما إن مفاتحه لتنيء العصبة، أي: تميلهم بثقلها، فلما انفتحت التاء، دخلت الباء، قالوا: هو يذهب بالبؤس، ويذهب البؤس، واختصاره تنوء بالعصبة بمعنى تجعل العصبة تنوء، أي تنهض متثاقلة»[67].

وقال الألوسي: «يجوز أن لا يكون هناك قلب؛ لأن المفاتح تنهض ملابسة للعصبة إذا نهضت العصبة بها، والأولى ما قدمناه أولاً، وهو منقول عن الخليل وسيبويه والفراء واختاره النحاس، وروي معناه عن ابن عباس وأبي صالح والسدي»[68].

وقال الشنقيطي: «وهذا النوع من القلب، وإن أجازه بعضهم، فلا ينبغي حمل الآية عليه; لأنه خلاف الظاهر، ولا دليل عليه يجب الرجوع إليه.

(61) مجاز القرآن2/110، 111.
(62) معاني القرآن، 3/24.
(63) المحرر الوجيز 5/207 .
(64) الفراء، يحيى بن زياد، معاني القرآن قدَّم عليه وعلَّق عليه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط.الأولى، سنة 1423هـ. (268/2) .البحر المحيط (324/8) .
(65) انظر: جامع البيان11/ 136 وتفسير القرطبي 312/13، وتفسير البغوي 20/7، والكشاف190/3، تفسير القرآن العظيم 5635/11، وابن عاشور 177/19، و الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم-بيروت-لبنان-1401هـ-1981م ط/ الأولى445/2.
(66) جامع البيان(10/104) .
(67) معاني القرآن (2/305) .
(68) روح المعاني (10/317) .

وظاهر الآية جار على الأسلوب العربي الفصيح، كما أوضحه أبو حيان في البحر المحيط»[69].

قال ابن عادل: قوله: ''لَتَنُوءُ بِالعُصْبَةِ '' فيه وجهان[70]:(

أحدهما: بأن الباء للتعدية، كالهمزة، ولا قلب في الكلام، والمعنى: لتُنيء المفاتح العصبة الأقوياء، كما تقول: أَجَأْتُهُ وَجِئْتُ به، وأَذْهَبْتُه، وَذَهَبْتُ به، ومعنى ناء بكذا: نهض به بثقل، قال:

تَنُوءُ بِأُخْرَاهَا فَلأْياً قِيَامُه . .. وَتَمْشي الهَوَيْنَا عن قَرِيبٍ فَتَبَهْرُ

وقال أبو زيد: نُؤْتُ بالعمل، أي: نهضت به، قال:

إذَا وَجَدْنَا خَلْفاً بِئْسَ الخَلَفْ عَبْداً إذَا مَا نَاءَ بالحِمْلِ وَقَفْ

والثاني: قال أبو عبيدة إنَّ في الكلام قلباً، والأصل: لتنوء العصبة بالمفاتح، أي: لتنهض بها لقولهم: عرضت الناقة على الحوض[71] (.

قال الطبري بعد أن استعرض القولين في تفسير لتنوء بالعصبة :وهذا القول الآخر في تأويل قوله:)لَتَنُوءُ بالعُصْبَةِ (، أي تفسيرها من غير قلب، أولى بالصواب من الأقوال الأُخَر، لمعنيين: أحدهما: أنه تأويل موافق لظاهر التنزيل.

والثاني: أن الآثار التي ذكرنا عن أهل التأويل بنحو هذا المعنى جاءت، وأن قول من قال: معنى ذلك: ما إن العصبة لتنوء بمفاتحه، إنما هو توجيه منهم إلى أن معناه: ما إن العصبة لتنهض بمفاتحه، وإذا وجه إلى ذلك لم يكن فيه من الدلالة على أنه أريد به الخبر عن كثرة كنوزه، على نحو ما فيه، إذا وجه إلى أن معناه: إن مفاتحه تثقل العصبة وتميلها، لأنه قد تنهض العصبة بالقليل من المفاتح وبالكثير. وإنما قصد جلّ ثناؤه الخبر عن كثرة ذلك، وإذا أريد به الخبر عن كثرته، كان لا شكّ أن الذي قاله من ذكرنا قوله، من أن معناه: لتنوء العصبة بمفاتحه، قول لا معنى له، هذا مع خلافه تأويل السلف في ذلك)[72].

وقال أبو حيان معلقًا على كلام أبي عبيدة:'' والقلب عند أصحابنا بابه الشعر. والصحيح أن الباء للتعدية، أي لتنيء العصبة، كما تقول: ذهبت به، وأذهبته، وجئت به وأجأته. ونقل هذا عن الخليل وسيبويه والفراء، واختاره النحاس، وروي معناه عن ابن عباس وأبي صالح والسدي)[73]''.

وقال الطبرسي: وهذا غير صحيح)أي القلب)، ولا يجوز أن يحمل القرآن عليه؛ لأنه يجري مجرى الغلط من العرب، ومثل ذلك في شعرهم كثير[74]''(.

---

(69) أضواء البيان (7/228) .
(70) اللباب في علوم الكتاب15/288، 289.
(71) المصدر السابق.
(72) تفسير الطبري11/136.
(73) البحر المحيط 7/132.
(74) مجمع البيان في تفسير القران.321.

ثم قال:" وإذا جاء في الشعر ما يجري مجرى الغلط، فلا يجوز أن يحمل كلام الله تعالى عليه)[75]".

ورجح القرطبي رأي الجمهور فقال:" أحسن ما قيل فيه: أن المعنى لتنيء العصبة، أي تميلهم بثقلها، فلما انفتحت التاء دخلت الباء، كما قالوا: يذهب بالبؤس، ويُذهب البؤس[76]..."(.

وقال ابن عاشور: وأما قول أبي عبيدة بأن تركيب الآية فيه قلب، لا يقبله من كان له قلب. [77]

وذكر الوجهين دون ترجيح السمين الحلبي[78]، والثعلبي[79]، وابن عادل[80]، وابن الجوزي[81].

و أميل إلى رأي الجمهور في هذه المسألة لسببين:

أولها: أن القلب كما ذكر أهل اللغة ميدانه الشعر، ولا يلجأ إليه إلا في أضيق الأحوال، فلا يحمل عليه القرآن الكريم.

وثانيها: أن المعنى الذي ذكره المفسرون للآية – من غير قلب- أجمل؛ بمعنى إن قارون أُتي من الكنوز بحيث أنها من كثرتها، فإن مفاتحها لكثرة عددها لَتُثْقِل العصبة من الرجال عن حملها، وإذا كان هذا حال المفاتيح، فما ظنك بالكنوز نفسها التي أعطيها قارون، كم هي كثيرة. وأما القول الآخر – وهو القلب– فلا يوجد هذا المعنى فيه، غاية ما يدل عليه (أي القول الآخر)أن العصبة تنهض بالمفاتح، وقد تكون المفاتح قليلة، وقد تكون كثيرة، فشتان بين الرأيين.

والأصل هو أن تجرى على نظمها وترتيبها اللغوي، ولا يصار إلى القلب ما دام أن عدم القلب أصح وأفصح؛ ولأن القلب خلاف الأصل الذي جرى عليه اللسان العربي، والله أعلم.

(75) المصدر السابق 5/322.
(76) القرطبي 13/312.
(77) تفسير ابن عاشور 19/177.
(78) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، 3963 .
(79) الكشف والبيان، 7/260 .
(80) اللباب (4020) .
(81) زاد المسير في علم التفسير 5/59.

الخاتمة

خلص البحث إلى النتائج التالية :

1. أن القلب: جعل أحد أجزاء الكلام مكان الآخر، والآخر مكانه، على وجه يثبت حكم كل منهما للآخر.
2. أن القلب أسلوب استعملته العرب في أشعارها وأقاويلها، أثبته بعض المفسرين، كالطبري، ورفض القول به الغالب منهم، أمثال السمين الحلبي والرازي وأبي حيان.
3. أن القلب من الضروريات التي يسلكها الشعراء؛ لمراعاة القافية والوزن، والقرآن منزه عنه.
4. أن القلب خلاف الأصل الذي جرى عليه اللسان العربي.
5. إذا اختلف المفسرون بين حمل الآية على القلب أو عدمه؛ فحمل الآية على عدم القلب هو الصحيح متى صح ذلك، لأنه هو الموافق لظاهر الآية، ولا يعدل عن الظاهر، إلا بدليل يرجع إليه؛ لأنه الأصل في الكلام.
6. لا ينبغي حمل الآية على القلب، ولها بدونه وجه صحيح.

التوصيات:

أوصي الجامعات وكليات الشريعة الاهتمام بالمواضيع اللغوية، وأثرها في بيان المعاني القرآنية، وتسهيل الطرق لطلبة العلم للولوج إلى هذه المواضيع، ليتناولوها بحثًا ودراسة، من جميع مناحيها وفرعياتها.

فهارس المصادر والمراجع

1. ابن الجوزي1407هـ ، زاد المسير في علم التفسير – المكتب الإسلامي – الطبعة الرابعة.
2. ابن عادل، عمر بن علي1419هـ ، اللباب في علوم الكتاب، دار الكتب العلمية. بيروت ،ط 1 .
3. ابن عاشور، محمد الطاهر1984م، التحرير والتنوير . الدار التونسية للنشر. تونس، ط1.
4. ابن عطية، عبد الحق بن غالب1395هـ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز.. المجلس العلمي بفاس، ط1.
5. ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم1401هـ، تأويل مشكل القرآن، المكتبة العلمية. المدينة المنورة ،ط 3.
6. ابن كثير، إسماعيل القرشي 1412هـ.تفسير القرآن العظيم. دار المعرفة، بيروت ، ط5.
7. ابن منظور، محمد بن مكرم بن على1414هـ، لسان العرب، (المتوفى: 711هـ)، دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة–.
8. أبو حيّان، محمد بن يوسف1413هـ، البحر المحيط: (ت745هـ)، تحقيق: عادل عبد الموجود ، دار الكتب العلمية: بيروت، ط1.
9. أبو عبيدة، معمر بن المثنى 1381 هـ ،مجاز القرآن، المحقق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجى – القاهرة ط1: ..
10. الأخفش، سعيد بن مسعدة1401هـ ، معاني القرآن، الأوسط. الشركة الكويتية لصناعة الدفاتر ،ط 2.
11. الألوسي، محمود بن عبد الله1395هـ ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. دار إحياء التراث العربي. بيروت ،ط 1.
12. البغوي، الحسين بن مسعود1416هـ، معالم التنزيل. دار طيبة. الرياض ،ط 3.
13. البيضاوي، عبد الله بن عمر1408هـ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الكتب العلمية. بيروت، ط 1.
14. التفتازانى، سعد الدين المطول على التلخيص (للقزوينى) ط العامرة تركيا – كتان.
15. الثعلبي1425هـ، الكشف والبيان، تحقيق: سيد حسن، ط الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت.
16. جبر، د. مصطفى السيد 1999/4/1، القلب البلاغي بين النظرية والتطبيق، مجلة جامعة الإزهر، دار المصري للطباعة، الهرم.
17. الزركشي، بدر الدين محمد 1410 هـ ، البرهان في علوم القرآن: – تحقيق: الدكتور يوسف عبدالرحمن المرعشلي الشيخ جمال حمدي الذهبي – والشيخ إبراهيم الكردي – دار المعرفة بيروت – لبنان – ط الأولى.

18. الزمخشري، محمود بن عمر1418هـ ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، مع حاشية ابن المنير، مكتبة العبيكان، الرياض ،ط 1.
19. الزمخشري1419 هـ - 1998م، محمود بن عمرو بن أحمد، أساس البلاغة، (المتوفى: 538هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى،.
20. السبكي، بهاء الدين، في شرح تلخيص المفتاح، دار السرور، بيروت لبنان، مطبوع ضمن (شروح التلخيص).
21. السمين الحلبي، أحمد بن يوسف1414هـ، الدر المصون، ت: علي معوض وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.
22. الشنقيطي، محمد الأمين1426 هـ، العَذْبُ النَّمِيرُ، ت: خالد السبت، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط2.
23. الشوكاني، محمد بن علي1415هـ ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. دار الوفاء. القاهرة، 1ط.
24. الصابوني، محمد علي1401هـ1981-م، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم-بيروت-لبنان-ط/ الأولى.
25. الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان، دار الكتب العلمية، ط1.
26. الطبري، محمد بن جرير1422هـ ، جامع البيان في تأويل القرآن. ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي. دار هجر،ط 1.
27. العكبري، عبد الله بن الحسين1423هـ، التبيان في إعراب القرآن، المحقق: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه.
28. الفراء، يحيى بن زياد، معاني القرآن قدَّم عليه وعلَّق عليه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط.1.
29. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي ثم الحموي، أبو العباس المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية – بيروت.
30. القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب الإسلامي، ط/ 3,
31. القيسي، مكي بن أبي طالب1429هـ - 2008م، الهداية إلى بلوغ النهاية ، المحقق: مجموعة رسائل جامعية جامعة الشارقة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية- جامعة الشارقة ط:1.
32. الماوردي، علي بن محمد1380هـ، والنكت والعيون. دار الكتب العلمية. بيروت،ط1.
33. مرتضى الزَّبيدي، محمّد الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس المحقق: مجموعة من المحققين دار

الهداية.
34. الواحدي، علي بن أحمد1430هـ، التَّفْسِيرُ البَسِيْط النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ) المحقق: أصل تحقيقه في (15) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، الناشر: عمادة البحث العلمي- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الطبعة: الأولى.